مقابرالأبراج في بالميرا و مارينا العلمين
دراسة أثرية مقارنة
Tower-tombs in Palmyra and Marina ELalamain
An Archaeological Comparative Study

د.حنان خميس الشافعى•

تقع مدينة بالميرا (تدمر السورية) بالقرب من دمشق بجوار منحدرات سلسة جبال الحوار الممتدة من الفرات حتى مشارف الشام، وتتوسط بالميرا الطريق الواصل بين الفرات الذى كان عصب المواصلات فى مشرق سورية وسواحل بلاد الشام ذات الموانىء الكثيرة. كان التجار منذ العصور القديمة يسلكون الطريق القادم من نهر الفرات ولابد من المرور من بالميرا إذا كانت وجهتهم موانئ بلاد الشام ومنها إلى أى دولة أخرى عبر البحر، ومن هنا ازدهرت بالميرا فى العصرين اليونانى والرومانى واستمر ازدهارها إلى الفتح العربى عام ٦٤١م.(١)

وتعد المقابر ببالميرا من أهم الشواهد الأثرية بالمدينة. سميت جبانة بالميرا بدار الأموات وتقع خارج أسوار المدينة عند نهاية الشارع الأعظم الرئيسى.(٢) ونظرا لازدياد عدد السكان فى المدينة وبالتالى ازدياد عدد الوفيات ورغبتهم فى دفن موتاهم فى مقابر لائقة تتصف بالهيبة والاحترام والثراء، فقد أخذت المقابر أشكالا مختلفة فظهر منها مقابرعلى هيئة السراديب وأخرى على هيئة الأبراج(٣). والأخيرة هى نقطة دراستنا فى هذا البحث. تقع المقابر البرجية فى الجانب الغربى من بالميرا فى المنطقة المسماة بوادى القبور. وتتميز بأنها مربعة الشكل ومؤلفة من عدة طوابق، يحوى كل طابق العديد من الدفنات، وهناك درج يصعد من طابق لآخر. وهى مرتبطة بسرد اب أو مدفن تحت الأرض. وجديرٌ بالذكر أن أكثر هذه المقابر قد زينت جدرانه بالزخارف سواء النحتية أو الرسوم الملونة(٤).

تؤرخ أقدم المقابر البرجية ببالميرا بالقرنين الأول والثانى الميلاديين. ولعل هذا التأريخ هو مبعث الاهتمام، إذ أنه يتفق مع تاريخ مقابر الأبراج المكتشفة فى مصر فى منطقة مارينا العلمين. لقد ساد الاعتقاد بأن أبراج مقابر مارينا العلمين قد جاءت متأثرة بالمقابر الفينيقية بهذا الشكل والتى ظهرت فى مناطق مختلفة من

• مدرس بقسم الآثار والدراسات اليونانية كلية الآداب - جامعة دمنهور.

١- احمد فخرى، بين اثار العالم العربى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨، ص٥٢.

٢- عزت قادوس، آثا رالعالم العربى، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٩٤.

3- Colledge, Malcom, A. R, The Art of Palmyra, Thames & Hudson, London, 1976, P.58.

4- Borkowska, Y., Studia Palmyrenskie, 1, 1996, p.122.

المنارة للاستشارات
www.

ولايات شمال أفريقيا الرومانية، حيث ينسب إلى الفينيقين ابتكار هذا النوع من المقابر[٥].

غير أن أوجه التشابه فى التصميم والاتفاق فى التاريخ مع مقابر بالميرا ربما يجعلنا نراجع هذا الرأى وننظر فى التأثير الشرقى الوارد من بالميرا. لذلك تهتم هذه الورقة البحثية بالدراسة والمقارنة للوقوف على أوجه الشبه والاختلاف من حيث المواد المستخدمة فى البناء، طريقة البناء، الزخارف سواء المنحوتة أو المرسومة، الموضوعات المصورة، واخيرا طرق الدفن فى تلك المقابر البرجية سواء فى بالميرا أو مارينا العلمين بمصر.

ولقد آمن التدمريون بالحياة بعد الموت لذلك أطلقوا على المدافن اسم "بيت الأبدية"، وكان لكل أسرة مدفنها الفخم المزخرف بالجص أو الحجر المنحوت أو المرسوم بالفريسكو. وكان فى المدفن بئر للسقيا والتطهر، وباب المدفن كان من الحجر المنحوت، عادة ما تكون فوقه نافذة للإنارة والتهوية، ويسجل عليه تاريخ البناء واسم صاحبه[٦]. أما الجدران الداخلية ففيها قبور على شكل فتحت منحوتة فى الجدران، وهى المعروفة باسم **Loculi** حيث تسجى فيها الجثث متراصة فوق بعضها البعض، تفصل بينها ألواح من الرخام أو الحجر.

بعد الدفن يُغلق القبر بتمثال نصفى ويُكتب عليه اسم الميت وتاريخ وفاته. وأحياناً تضاف كلمة "هبل" أى "وا أسفاه"[٧] باللغة التدمرية. وفى صدر الجناح الرئيسى بالمدفن يوجد السرير الجنائزى، الذى يضم تماثيل صاحب المدفن وأفراد أسرته الأموات والأحياء، بحيث تصور المجموعة النحتية الوليمة الجنائزية وهى وليمة رمزية تؤنس وحشة الميت فى عزلته الأبدية. ويُقام السرير فوق قائمتين بينهما واجهة تحمل أيضاً تماثيل نصفية لأفراد الأسرة، وتمثال رب الأسرة عادة ما يكون مضطجعاً وإلى جانبيه زوجته وبعض أولاده وقوفاً. وتكون يد الميت مفتوحة استسلاماً للموت أما الأخرى فتقبض على شيء كدليل على حب الحياة، ويرتدى الجميع الملابس الجميلة المطرزة، كما تتحلى النساء بالمجوهرات. وقد وُجدت فى بعض المدافن البرجية بعض المومياوات مكفنة بالحرير مع حشوات كتابية إلا أنها شُقت ونُبشت[٨].

5- Delbert, R. H, A Journeg to Palmyra, Collected Essayst Remember, Eleonoracussini, Boston, 2005, P. 45.

6- Drijvers, H. J. W., The Religion of Palmyra, Icono - Graghy of Religions, 15, Institute of Religious Iconography, State Univ. Gorning en Leiden, 1976, P. 71- 86.

٧- محمد بهجت قبيسى، الكنعانيون والآراميون العرب فى الإمبراطورية الرومانية (من القرن ١ ق.م. حتى ٣ م.) والأباطرة العرب الذين حكموا روما، الطبعة الثانية، دار شمال - دار طلاس، ٢٠٠٩، ص ٢٩.

٨- النبى عدنان، تدمر والتدمريون، دمشق، ١٩٧٨، ص ٣٣٠.

المنارة للاستشارات
www.

وتعد المدافن البرجية أقدم ما ظهر فى بالميرا من قبور، إذ ترجع بداياتها إلى العصر الهلينستى، واستمرت إلى القرن الثالث م، إلا أن العناية بها قد تطورت فى القرن الأول م فصارت تزخرف من الداخل والخارج.

ويكون المدفن عادة مربعاً يتألف من ٣ إلى ٤ طوابق يصعد إليها بدرج حجرى، وعادة ما يحتوى الطابق الأول على أعمدة وأفاريز وتيجان زخرفية فضلا عن المنحوتات، أم السقف فيزخرف بأشكال هندسية متناظرة، تحمل أشكالا مرسومة بالألوان، بينها أشكال إنسانية بارزة[٩].

والمدافن البرجية لا وجود لها إلا في تدمر وحلبية التي كانت ميناء تدمر النهري. وهي تصميم تدمري محض يلائم مناخ تلك المنطقة وأذواق سكانها. وأفضل النماذج للمدافن البرجية الباقية هي: عتناتان، حيران وكيتوت، يمبليكوس، إيلابيل في وادي القبور، غرب مدينة تدمر. إضافة إلى حوالي ١٥٠ من القبور الأخرى[١٠].

مدفن عتناتان:

صورة رقم (١):

وهو أقدمها يرجع الى عام ٧ ق.م.[١١] بناه اثنان من ابناء عتناتان. المبنى له بوابتان (مدخلان) فى جهتين متقابلتين تؤديان الى حجرات مستقلة تحتوى على قاعدتين واحدة تعلو الأخرى وفى كلا الجانبين فتحات متراصة فى مستويين، الحجرات بها بداية الدرج المؤدى للحجرات العلوية الأصغرالتى بها فتحات اللوكولى غير مرتبة . الواجهة الأمامية يعلوها اطار مزخرف يوجد كورنيش محيط بالبرج كله .

اعلى البرج فى حالة سيئة ولا نستطيع ان نحدد اذا كانت هناك شرفات اخرى من عدمه. وفى المجمل يوجد اكثر من ٤٥ فتحة دفن **loculi** كانت تغطى تماما بعد استخدامها ثم تزخرف[١٢]. تقع كل الفتحات بالجزء العلوى من الدرج بالإضافة إلى فتحة طويلة تؤدى إلى الخارج، فيما يبدو أن الفتحة كانت تترك مفتوحة بعد إتمام مراسم الدفن للخروج منها، وقد عثر على فتحة سليمة (الوحيدة التى تم إكتشافها فى المقابر البرجية ومسجلة فى الاكتشافات وكانت مغلقة كلياً)[١٣].

9- Colledge, Malcom, A. R., Op. Cit., P. 62.

10- Gawlikawski, M., Monuments Funeraires de Pulmre, Warszawa, PWN, □□□□, P. □□□.

11- Gawlikouski, M., Op. Cit., P. 51.

12- Gawlikouski, M., Palmyrena, Berytus 17, 1986, P. 170.

13- Gawlikowski, M., Palmyrena, Berytus 17, 1986, P. 170.

المنارة للاستشارات
www.

ومن ناحية اخرى وبين الأبراج التى تشبه برج عتيناتان يوجد برجان هما برج حيران وبرج كيتوت ويعودان الى سنة ٤٠م. و ٣٣م.[١٤]، وفى كل منهم مدخلان يقعان فى جهتين متقابلتين ودرج جانبى وحجرات بها فتحات دفن جانبية.

برج حيران Hairan:

صورة رقم (٢):

يقع فى الجزء الشمالى من تل ام بلقيس. بنى عام ٣٣[١٥] يوجد به ثلاث حجرات، تتوسط البرج الحجرة الثالثة والتى تتوسطها قاعدة لها مدخل جانبى مستقل، بينما الأرضية تمتد الى داخل حجر الأساس وممر بسيط غير مكتمل ومزود بفتحات دفن على جانبيه.

كل الحجرات الموجودة بالبرج ضيقة جدا بها فتحات عمودية كل فتحة منها مقسمة الى اربعة لوكولى بواسطة قطع فخارية .

برج كيوت Kitot:

صورة رقم (٣):

بنى عام ٤٠ م. يبلغ ارتفاعه ١٠م.[١٦] فهو إذن أكبر من البرج السابق، يقع عند نهاية التل وعلى الجانب المقابل لوادى القبور. يتكون من قاعدة عالية تتناقص تدريجيا فوق الحجرات المنتظمة الممتلئة بالفتحات المستطيلة والشقوق.

يوجد حجرتان اصغر من غيرها وجدفى كل واحدة من هذه الحجرات تابوت حجرى. وفى نهاية الأرضية يوجد مجموعة من الدرجات تأخذنا الى اسفل للاتجاه الى الدفنات الموجودة تحت الأرض والتى لم يمكن اكتشافها بعد. وينتهى البرج تماما عند جزء مسطح بالكامل .

أكثر ما يميز هذا البرج وجود حنية مقببة مزينة ومزخرفة منحوتة فى الطابق الثالث على الجهة التى تقابل المدينة وتحتوى على مجموعة نحتية تمثل كيتوت وعائلته حيث يظهر الأب مضطجعا على اريكة او سرير جنائزى (kline) ويقف من ورائه أبناؤه الثلاثة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البرج مثله مثل غره من مقابر الأبراج البالميرية كانت تحتوى على الرغم من ضيق مساحاتها على جزء مخصص لاستقبال التجمعات العائلية والولائم التى تقام على شرف المتوفى، إذ كان الأقارب والعائلة يحرصون على الزيارة وحرق نبات اللبان والبخور فى مذابح صغيرة مستديرة على الأرض

14- Maura K., Heyn, Gesture and Identity in the Funerory Art of Palmyra, American Journal of Archaeology, Vol. 114, 4 October 2010, PP. 631- 661.

15- Higuchi, T. K., Saito, Study of the Nourth Esst Necropolis in Palmyra, Bulletin of the Research, Center for Silk Roadology, Nara: Nara Univ. 1998, P. 201.

16- Higuchi, T. K., Saito, Op. Cit., P. 216.

المنارة للاستشارات
www.

أمام بعض فتحات اللوكولى، كانت الدفنات تحدد بواسطة نقش يحفر على اللوحة التى تغلق بها فتحة اللوكولى[١٧].

هكذا كانت مقابر الأبراج المبكرة فى بالميرا، ولكنها وعبر تتابع ظهورها حتى عام ١٢٨م، ما لبثت أن تطورت فى إطار العناصر المعمارية المكونة لها وكذلك العناصر الزخرفية التى زودت بها[١٨]. كان الدرج فى الأبراج يبنى فى أحد الجوانب، ويحتوى البرج على مناطق متوازية تقع بين الطوابق، هذه المناطق كانت بمثابة حجرات أكثر اتساعاً وتأخذ باستقامتها مكاناً أقل من الألتواءات المتعددة بينما الأبراج نفسها لم يطرأ على مساحتها أى تغير عما كان موجوداً من قبل، أصبحت الحجرات منتظمة، وكذلك فتحات اللوكولى من قاعدة البرج حتى أعلاه ومقسمة فيما بينها بواسطة كتل صخرية[١٩].

وسرعان ما استبدلت طريقة البناء الخشنة غير المنتظمة بطريقة اشلر المعروفة بانتظام قطعها وتراصها بمسافات محددة ومدروسة،وكانت الحوائط الداخليةعمودية ومزينة من الداخل بأعمدة ويمكننا ان نتمثل هذه الملامح لاول مرة تظهر فى برج يمبليكوس.

برج لامبايكوس أو (يمبليكوس):

صورة رقم (٤):

ويقع فى الجزء الشمالى من منحدر تل أم بلقيس جنوب وادي القبور. بُني عام ٨٣م.[٢٠] وهو قبر عائلي ومن أقدم القبور المقامة فى التل. رُمم بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٦. ما زال البرج يحتفظ بأعمدته الكورنثية وإفريزه الجميل.

ما تبقى منه خمس طوابق فقط متطابقة ومنظمة ويصل ارتفاعها الى اكثر من ٨٦م، بينما تهدم الطابق السادس المكمل للبرج. تقع الواجهة الأمامية للبرج اعلى المدخل الرئيسى. دعم حائط الواجهة المثلثة والحنية المقببة بنحت بارز يصور الربة فيكتوريا إلهة النصر الرومانية من الداخل توجد اعمدة كورنثية تقف مباشرة على الأرضية وعليها زخارف بسيطة، فى الطوابق العليا يوجد عدد هائل من الفتحات المتراصة ومحتفظة بحالتها داخل عمق الحوائط[٢١].

فى الطابقين العلويين توجد حجرات مربعة صغيرة بكل حجرة فتحتان مستطيلتان معدتان خصصيصاً لاجل النحت البارزالذى يمثل بعض افراد العائلة متكئين على الأرائك ومستمتعين بالطعام المقدم لهم[٢٢].

17- Maura, K., Heyh, Op. Cit., P. 640.

١٨- عزت قادوس، مرجع سابق، ٢٠٤.

19- Delbert, R. H., Op. Cit., P. 58.

20- Gawlikowski, Michal, The City of the Dead Boston, 2005, 45.

21- Henning, 2001, Die Turmgaber Von Palmyra. Eine locale Bau form als Asdrack Kultureller Identitat, Un Pulished Dissertation, Univ of Koln, 2001, P.

المنارة للاستشارات
www.

مدفن إيلابيل :

صورة رقم (٥):

من أشهر وأكبر المدافن البرجية، جيد الحفظ، يعطي فكرة واضحة عن هذه المدافن، ويعود إلى عام **١٠٣م**.[٢٣] وكان ملكاً لأخوة أربعة هم: إيلابل وشاكي ومعني ومقيمو. وهم أولاد وهب اللات بن معني. وكان لهذه الأسرة شأن في ازدهار المدينة وبنائها. يتألف المدفن من أربعة طوابق، مدخله من الجهة الجنوبية. مبنى بطريقة اشلر، القبو فيه قبور أرضية **(Hypogeum)** ومدخله من جهة الشمال .

كان باب المدفن البرجي حجرياً. يقع فوقه حجر الأساس الذى نُقشت عليه كتابات باليونانية والتدمرية، تُشير إلى اسم العائلة التي تملكه وتاريخ بنائه. وفوق الحجر توجد شرفة. ويبدو أن هذا المدفن قد استخدم فى فترة ما للاستثمار التجاري حيث يتسع لدفن **٣٠٠** جسد.

الطابق الاول مزخرف باعمدة وصف من المنحوتات التى تمثل افراد العائلة الذين كانوا على قيد الحياه فى وقت الدفن، ويعتقد أن بعض مشاهد تقديم الطعام والاستمتاع بالمآدب كانت تكمل تلك المنحوتات ولكنها مفقودة الآن.

وفى ممر يقع فوق المدخل الرئيسى توجد بقايا لوحات منحوت عليها شكل ارائك بالنحت البارز، وعلى طرفي كل جدار في القاعة الأرضية، يوجد فتحات الدفن **Loculi** المستطيلة. صفت بحيث يضم كل جدارتسعة رفوف لعشرة قبور. كان الميت بعد معالجته حسب الطقوس، يُلف بالحرير، ويُدخل في فتحة الدفن **Loculi**. ورأسه عند الفتحة، ثم يُغلق القبر بتمثال نصفي له وعليه اسمه[٢٤] (صورة رقم (٦).

وللحجرات اعمدة بقنوات تيجانها كورنثية، على يمين الباب من الداخل يوجد نحت للإخوة الأربعة. وفي الجدار الشمالي تماثيل نصفية للعائلة وهم يجلسون على السرير الجنائزي. كما توجد نقوش لخمسة من النسوة هن زوجات الإخوة مع واحدة من أخواتهم. وفوقهم صف من أربعة نقوش للإخوة الأربعة. وفوق الباب نقش لأحد أبناء إيلابل وقربه وبالقرب منه نقشان في الأعلى وثلاثة في الأسفل، وعلى يسار المدخل درج يقود إلى الطبقات الأخرى. والسقف فيه مربعات منقوشة وملونة باشكال الورديات، اما فى منتصف السقف فيوجد رسم لأربعة تماثيل نصفية لأصحاب المقبرة[٢٥] (صورة رقم (٧)).

22- Fellmann, R., Le Sanctuairede Baal Shamin a Palmyre, Institut Swisse, Fevrier, 1970, P. 147.

23- Schmidt - Colinetetal., L'architecture Fu ne'raire dr Palmyre, 447- 456, in: J. M. Dentzer - W. Ortharn nn (edd) Archeologieet histare de la Syrie II, 1989, P. 42.

24- Sadurska, A., Nouvelles Recherches dans La necropole oust de Palmyre, 11- 32, in: Palmyre, bilan et Perspectives: Colloque de stras bourg (18- 20 October) 1973, P. 67.

25- Gawlikowski, M., Op. Cit., P. 52.

المنارة للاستشارات
www.

جدير بالذكر أنه على الرغم من أن العمارة الجنائزية فى بالميرا قد بدأت فى نهاية العصر الهلينستى مراحل متتابعة من التطور، امتدت قرابة القرون الثلاثة إلى أن انتهت أهمية المدينة مع انتهاء عهد الملكة زنوبيا[٢٦]، إلا أن هذه العمارة لم تخرج فى إطارها العام عن شكلين أساسيين لمواضع الدفن، أولهما المقابر ذات الفتحات المعروفة اصطلاحا باسم **Loculi** وما تميزت به من لوحات الغلق التى كانت تعكس زخارفها تقاليد مختلفة. لقد انتشرت فتحات الدفن فى حجرات الأبراج البالميرية سواء كانت تلك الحجرات موجودة فى الطوابق المختلفة للبرج أو فى الطابق الأرضى الذى يكون عادة منحوتا تحت مستوى الأرض حيث تنحت الفتحات فى الصخر الجوفى، ومن اللافت للانتباه أن فتحات الدفن فى أبراج بالميرا قد تميزت بالقمة المثلثة التى ميزت فتحات الدفن بالإسكندرية صاحبة السبق فى اتباع نظام الفتحات للدفن. ونظرا لأن أسلوب الدفن فى الفتحات كان يسمح بأكبر عدد من الدفنات فى مساحة ضيقة مع الاحتفاظ بخصوصية كل دفنة سواء من خلال المقتنيات التى تدفن مع الجثة داخل الفتحة أو من حيث المكونات الزخرفية والكتابات التى تسجل على لوحة الغلق، والتى كانت تعرف بالشخص المدفون وتقدم معلومات عنه وأحيانا ما تقدم صورة شخصية له، نظرا لكل ذلك فقد انتشر أسلوب الفتحات للدفن فى سوريا وفلسطين وكذلك فى بالميرا حتى نهاية القرن الثالث الميلادى سواء كانت تلك الفتحات منحوتة فى الصخر أو محفورة فى جدار مشيد من الحجر مبنية[٢٧].

أما الشكل الآخر لمواضع الدفن فقد كان الدفن فى حفرة أو حجيرة تغلق على الجسد بصرف النظر عن الشكل المعمارى للقبر، وكانت هذه تصاحبها لوحات جنائزية تعرف بصاحب الدفنة بأساليب مختلفة كالنحت البارز أو النص المنقوش أو أنماط بعينها من الزخارف، تلك هى ما نطلق عليه شواهد القبور التى عرفتها شعوب العالم قديمه وحديثه قاطبة. فى سوريا القديمة كانت هجرة العرب إليها لممارسة التجارة سببا فى انتشار شواهد القبور على هيئة لوحات مقامة أعلى المقبرة أكثر من أى عنصر معمارى آخر معبر عن القبر والدفن[٢٨]. ومما يسترعى الاهتمام أن الشواهد أطلق عليها لفظ **Nefesh** بمعنى روح أو نفس[٢٩].

وقد أثبتت النقوش أن هذا الاستخدام نشأ عند الأنباط وفى مناطق أخرى استولى عليها (البدو) العرب فى أواخر العصر الهلينستى بما فى ذلك مدينة بالميرا والتى اتخذ

26- Graf, D. F., "Zenobia and Arabs", 143- 167, in: D. H. French - C.S. 4ght foot (edd.) The Eastern Frontier of Roman Empire, Procceeding, of a Colloquium held at An Kara in September, 1988, BAR International Series 553, Monogragh (British Institute of Archaeology at Ankara) no. 11, 2 Vols, Oxford, 1989, P. 182.

27- Gawlikowski, M., Op. Cit., P. 54.

٢٨- أحمد فخرى، مرجع سابق، ص ٥٤.

٢٩- محمد بهجت قبيسى، مرجع سابق، ص ٣١.

المنارة للاستشارات
www.

فيها الشاهد الشكل القبوى ويحمل صورة المتوفى بالنحت البارز[٣٠]. كان الشاهد يوضع أعلى القبر أو فى حجرات الدفن الموجودة تحت الأرض، ومن المدهش أن لفظ **nefesh** كان يشير فى بعض الأحيان إلى المقابر البرجية[٣١].

فى البداية كانت تلك الشواهد مجرد أعمدة تبنى على قاعدة لتعبر عن كونها المأوى الأبدى للروح، ولكن سرعان ما أنتهى ذلك المفهوم القديم وأصبح الدفن فى الجزء العلوى من البرج وليصبح البرج ذاته هو الشاهد أو النصب التذكارى وهو المدفن فى نفس الوقت.

فى مصر وفى عام ١٩٨٦ بدأ الكشف عن مدينة متكاملة تقع على الساحل الشمالى لمصر فى المنطقة الواقعة بين الإسكندرية ومرسى مطروح كشفت المدينة بطريق الصدفة حيث ظهرت البقايا الأثرية عند حفر الأساسات لأحد منتجعات مارينا، فانطلقت البعثة الأثرية لمعهد الآثار الشرقية البولندى بالقاهرة بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار ومعهد البحوث الأمريكى بالقاهرة، فى إجراء الحفائر والترميم طوال العقدين الأخيرين من القرن العشرين[٣٢].

سميت المدينة الأثرية "مارينا العلمين" نسبة إلى موقعها بالقرب من مدينة العلمين الشهيرة التى شهدت واحدة من أهم المعارك الحربية فى الحرب العالمية الثانية[٣٣]. غير أن الجغرافى سترابون ذكرها فى القرن الأول ق.م. باسم ليوكاسبيس **"Leocaspis"** أى مدينة الصدفة البيضاء[٣٤]. ويبدو أن هذا الاسم اليونانى للمدينة قد جاء من ارتباطها بعبادة إلهة الجمال في الحضارة اليونانية القديمة «أفروديت»، والتى تحكى اساطير الإغريق عن مولدها من زبد البحر وخروجها من الأعماق فى صدفة بيضاء، فأصبحت الصدفة البيضاء أحد مخصصاتها[٣٥].

كانت مارينا العلمين فى العصرين البطلمى والرومانى تمثل ميناء تجاريا هاما على الساحل الغربي للبحر المتوسط لتصدير الغلال والحبوب خاصة القمح إلى روما، الأمر الذى أدى إلى الازدهار السريع ووصولها إلى درجة كبيرة من الرقي والتقدم المعمارى والفنى، ولكنها تعرضت قديما لزلزال مدمر مازلت آثاره

٣٠- أحمد فخرى، مرجع سابق، ص ٦٠.

31- Gawlikowski, M., Op. Cit., P. 58.

32- Daszewski, W. A., The Site ogan Unkown Gerco - Roman Settlement on the Mediterranean Coast of Egypt, in: Marina El Alamein PAM, Warsaw (1991), P. 7.

33- Adriani, A., Annuaire du Musee Greco - Romain 1435- 1939, P. 159 FF.

34- Strabo, Geographika, XVII, 1, 14, Loeb

٣٥- منى حجاج، أساطير الأغريق بين الإبداع والابتداع، الإسكندرية، ٢٠١٥، ص ١٥٤.

المنارة للاستشارات
www.

موجودة حتى الآن. وفى العصر الحديث استخدمت المنطقة كملجأ وثكنات للجنود اثناء الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى تدمير الكثير من آثارها[٣٦].

تقع جبانة مارينا العلمين على الحدود الغربية للمدينة القديمة، وتضم مقابر متعددة الطرز المعمارية فمنها المنحوتة بشكل الصندوق فى الصخر الجوفى أسفل مستوى سطح الأرض، وهذه كانت تغلق بألواح أو لوح حجرى مسطح. وكانت مثل تلك الحفرات الصندوقية قاسما مشتركا فى العديد من طرز مقابر مارينا المكتشفة، من ذلك أن يتم حفر الخندق الصندوقى وتتم فيه الدفنة أو الدفنات المطلوبة ثم يشيد أعلاه وفوق سطح الأرض بناء بشكل الهرم المدرج المكون من عدة مصاطب، أو تقام فوق الخندق الصندوقى مقبرة بشكل البرج[٣٧]، وهى مناط اهتمام هذه الورقة.

لقد كشف فى جبانة مارينا عدة أنواع من الأبراج المشيدة فوق سطح الأرض. رمز إلى مقابر الأبراج فى مارينا بالحرف **T** اختصارا لكلمتى **Tower Tomb** ثم عرف كل برج برقم[*]. ولعلنا نستطيع أن نأخذ فكرة كافية عن تلك الأبراج من خلال التعرف على عدد منها وخاصة تلك التى تختلف عن بعضها البعض فى بعض التفاصيل المعمارية أو الزخرفية.

شيدت الأبراج بكتل منتظمة من الحجر الجيرى المحلى. يبدأ البرج من أسفل ببناء يتخذ الشكل الصندوقى بمقاييس متوسطها **٢.٥٠ x ٢.٨٠** م. يحوى بداخله فتحات للدفن تتراوح بين اثنين وأربعة فتحات. يعلو الشكل الصندوقى قاعدة يونانية الطراز تتكون من ثلاث درجات تعلو إحداهما الأخرى بحيث تقل مساحة الدرجة العلوية عن تلك الواقعة أسفلها فتظهر القاعدة مدرجة وكأنها قاعدة أساس معبد يونانى. فوق هذه القاعدة يقوم البرج الذى يكون عادة برجا مربعا يختلف فى أسلوب زخارفه المعمارية وشكل التاج الذى يعلوه. وقليل من الأبراج يتخذ الشكل المستدير مثل المقبرة **T_1**[٣٨].

يلاحظ فى أبراج مارينا أنها تتفق فى تماثل فتحات الدفن بداخلها من حيث المساحة إذ تبلغ مساحة الواحدة منها المترين طولا والمتر ارتفاعا. ولكنها تختلف فى عدد الأجساد المدفونة بداخلها ما بين جسد واحد أو أكثر[٣٩]. فى الأبراج **T_1-T_1B** تم اكتشاف **١٣** هيكلا عظميا، ثلاثة منها لرجال فى المرحلة العمرية من **٣٥- ٤٠** وهيكلين آخرين لأشخاص تتراوح أعمارهم بين ٨ إلى ٤٧ سنة وسيدتين إحداهما فى

٣٦- سمر يسرى، مدينة "مارينا الأثرية" دراسة لآثار المنطقة ووسائل الحفاظ عليها وترميمها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٣.

37- Gawlikowski, W., Op. Cit., P. 10.

* هذا التقسيم يرجع إلى البعثة البولندية التى قامت بالحفائر هناك.

38- Dazewski, W. A., Les Necropoles d'Alexandrino, in: Lagloire d'Alexandria, Paris, 1998, PP. 250.

39- Dazewski, W. A., Marina al- Alamein, 1990, PAM III (1991), PP. 29- 37.

المنارة للاستشارات
www.

المرحلة العمرية ١٦ إلى ١٨ والأخرى فى المرحلة العمرية ٢٥ إلى ٥٥ سنة وطفل حديث الولادة وسبعه أطفال من عمر ١٨ شهر إلى ٥ سنوات[٤٠].

يتخذ البرج T_1 (صورة رقم ٨) شكل العمود المستدير المشيد من كتل منتظمة تظهر الفواصل بينها بفعل عوامل الزمن. وينتهى بتاج بسيط على الطراز النبطى[٤١]. التاج النبطى تاج يتكون عادة من كتلة واحدة من الحجر تنحت باستدارة طفيفة وتخرج فى أركانها أجزاء رأسية بارزة تحدد أركان التاج وتضفى عليه الشكل الجرسى. وقد يزخرف السطح المنحنى للتاج بحلية أو أكثر[٤٢].

ظهر التاج النبطى فى الأبراج T_1J (صورة رقم ١٠-١١-١٢) والبرج T_{12} (صورة رقم ١٥-١٦) إن شيوع التاج النبطى فى أبراج مارينا لهو تأثير فنى واضح نتيجة للنشاط التجارى الذى كانت تمارسه المدينة مع المدن السورية وخاصة بالميرا فى القرنين الأول والثانى الميلاديين، حيث كانت القوافل التجارية لا تجلب السلع التجارية أو تأخذها فقط وإنما تحمل معها العناصر الفنية الرائجة والمنتشرة هنا وهناك جيئة وذهابا.

شيد البرج T_1B (صورة رقم ٩) فوق حفرة مستطيلة محفورة فى الصخر مغطاه بألواح حجرية غير مصقولة تحتوى على جثمان موضوع داخل تابوت خشبى فى حفرة ضحلة فى الصخر، يغلقها بناء البرج ذاته. وقد لوحظ فى فتحة الدفن الجنوبية بهذا البرج أنها استخدمت لدفن أشخاص آخرين فى مرحلة تالية وهو أسلوب متكرر فى مارينا حيث وجدت خمس مقابر مماثلة مزدوجة أو ثلاثية وفى جميع الحالات وضع المدفون الأول فى غرفة الدفن التى كانت مغلقة .

يحتوى الجزء السفلى من هذه المقبرة البرجية على غرفة الدفن ويشكل قاعدة مدرجة يقوم فوقها البرج فى هيئة عمود مستطيل ضخم يبلغ ارتفاعه ٤.٥م.[٤٣] العمود مزين بأعمدة ركنية ذات تيجان بسيطة تحمل إفريزا مربعا دقيق التفاصيل. فوق الإفريز قاعدة من درجتين كانت فى أغلب الظن لتمثال دمر ولم يتبقى منه اى اثر.

البرج الثالث هو البرج رقم T_1J (صورة رقم ١٠-١١-١٢) وفيه الخندق الصندوقى المنحوت فى الأرضية الصخرية ويحتوى على فتحة دفن واحدة مغطاه بشرائح مستوية من الحجر الجيرى وله سطح علوى، الجزء الظاهر فوق سطح الأرض يتخذ شكل صندوق مستطيل به فتحتين للدفن **Loculi**. الجزء الأوسط والذى يعلو الخندق مباشرة مملوء بالدبش والرمال مكونا نوعا من الأساس الداعم والمثبت

40- Moria, Laczmarek, Marina el-Alamein, 1990, PAM III, P. 30.

41- Dazewski, W. A., Op. cit., P. 39.

٤٢- احمد فخرى ،مرجع سابق، ص ٥٦.

43- Dazewski, W. A., "Excavation at Marina el - alamein, 1987- 1988, MDAIK (46), 1990, PP. 51.

المنارة للاستشارات
www.

للعمود المستطيل الضخم الذى يعلو الهيكل. يقف العمود على قاعدة مدرجة مكونة من ثلاث درجات وتاج العمود بسيط على الطراز النبطى الذى يبدو أنه كان طرازا سائدا يميز المنطقة .

فوق العمود توجد قاعدة لعمود اصغر، له تاج مماثل لتاج العمود الكبير.

من المحتمل ان المقبرة تعرضت لزلزال او ما شابه ذلك لانه تم العثور على قطع من الأحجار ملقاه على الأرض بجانب المقبرة(٤٤).

على بعد قليل من الأمتار جنوبا تم الكشف عن البرج رقم **T_1K** (صورة رقم ١٣-١٤)، وهو من طراز مقارب إلى حد ما من الأبراج أرقام **T_1A,T_1B** و**T_1J** ولكن من الواضح انه يمثل مرحلة سابقة فى التطور، فبدلا من الجزء السفلى على شكل الصندوق المعتاد الذى يحوى فتحات الدفن اللوكولى، نجد قاعدة أو أساس مربع يتكون من ثلاث درجات يبلغ ارتفاع الدرجة الواحدة منها ٣٠ سم تقريبا(٤٥)، وهى مقامة فوق خندق محفور فى الصخر الأساسى، فوق القاعدة يقوم العمود المستطيل يعلوه التاج النبطى، ونجد فى منتصف العمود من الناحية الشرقية توجد مقصورة صغيرة مستطيلة بشكل دخلة فى جدار العمود الكبير، تتخذ هذه المقصورة شكل المعبد الرومانى حيث تبدأ بقاعدة أفقية تحمل على جانبيها كتفين يمثلان المدخل وتحملن فوقهما واجهة مثلثة تتكون من كورنيش أفقى مزخرف بشريط من زخرفة الأسنان وكورنيشين مائلين يشكلان واجهة المثلث (الجمالون)، ويحمل ركنا المثلث زخرفة نحتية **Acroteria** بقيت منها القاعدة فقط ويبدو أن الشكل المنحوت قد سقط ودمر. داخل المقصورة نحت سرير جنائزى يضطجع عليه المتوفى فى هيئة جنائزية معروفة فى الفن الجنائزى الرومانى باسم **Aedicula**، أى ناووس مصغر يظهر فيه المتوفى مضطجعا فى ملابسه الرومانية. يبلغ الارتفاع الكلى للمقبرة حوالى ٦م. أو ربما أكثر، إلا أنه من المؤكد أن زلزالا قد دمر المقبرة حيث وقعت كتل حجرية من العمود بالاتجاه الشمال الشرقى فغطت عددا آخر من المقابر حولها.

من الصعب تأريخ المقبرة تأريخا دقيقا نظرا لعدم الكشف عن أى آثار منقولة بداخلها، إلا أن الخصائص المعمارية وظهور المقصورة أو الناووس **Aedicula** يدفعنا للاعتقاد بأنها تنتمى إلى فترة سابقة عن تلك الخاصة بالمقابر البرجية ذات الشكل الصندوقى كاملة التطور، ولعلى أرجح أن هذه المقبرة ترجع إلى القرن الثانى الميلادى من خلال طراز السرير الجنائزى المنحوت الذى يضطجع عليه صاحب المقبرة ينتمى إلى طراز الأسرة الجنائزية التى رأيناها فى مقبرة كوم الشقافة بالإسكندرية(٤٦).

44- Daszewski, W. A., Op. Cit., PAM III, P. 43.
45- Daszewski, W. A., Op. Cit., PAM III, P. 95.
46- Breccia, Ev., La Necropoli di Sciatbi, Le caire, 1912.

المنارة للاستشارات
www.

يقع البرج رقم **T12** (صورة رقم ١٥-١٦) الى الجنوب الغربى من **T1K**. ويتكون من قاعدة مدرجة تقف على صندوق مكون من ثلاث حجرات لوكولى ثم البرج بشكل عمود مستطيل يعلوه تاج نبطى بسيط الشكل، وفوق التاج كان هناك تمثال لحورس فى شكل صقر يقف بدوره على قاعدة صغيرة مكونة من درجتين. وقد عثر على بعض القطع المكسورة لتماثيل مماثلة فى أماكن أخرى فى المنطقة وعلى مقربة من مقابر أخرى، ويبدو أن هذا النحت مع أشكال الأسود كان الزخرفة المعتادة لتلك المقابر، ويبلغ ارتفاع المقبرة حوالى **٦.٥**م[٤٧].

هكذا يمكننا القول أن ملامح الاتصال بين كل من مارينا العلمين وبالميرا تبدو واضحة فى عمارة وزخارف مقابر الأبراج المكتشفة فى المدينتين. والحقيقة أنه على الرغم من أن مصر قد شهدت تنوعا غير مسبوق فى طرز العمارة الجنائزية بها، إلا أننا لا نعرف من تلك الطرز هذا النوع من المقابر البرجية سوى فى مارينا العلمين التى كانت تمثل محطة تجارية لمرور التجارة من الشرق السورى عبر خط الساحل الشمالى إلى مناطق شمال أفريقيا وربما إلى أوروبا. لقد جاءت المقابر البرجية فى مصر بتأثير من الطراز الفنى البالميرى الذى كان متأثرا بدوره بالطرز الفينيقية التى ارتكزت فى الساحل الشرقى للبحر المتوسط فى الموانىء الفينيقية هناك. ولكن الأمر لم يخل من تأثير متبادل فقد أخذت مقابر بالميرا أسلوب فتحات الدفن من المقابر السكندرية وهو الأسلوب الذى صاحب معظم طرز المقابر المختلفة فى أنحاء مصر بما فى ذلك جبانة مارينا ذاتها حيث ظهرت الفتحات فى مقابر الحجرات وغيرها داخل الجبانة. أقيمت الأبراج فى كلا المدينتين من الحجر الجيرى المحلى المتوفر فى كل منهما، واستخدمت فى البناء طريقة البناء المنتظم المعروفة (آشلر) بتفاصيل متشابهة. فى كلا المدينتين صممت الأبراج لتقوم فوق خندق صندوقى الشكل. لقد استخدمت العناصر الزخرفية السائدة فى كلا الموقعين سواء من حيث الزخارف المعمارية كالكرانيش والأفاريز وأشرطة زخرفة الأسنان، أو فى المنحوتات البارزة والحرة من حيث ظهور المتوفى المضطجع على الأريكة الجنائزية. وأخيرا فإن كلا المجموعتين من الأبراج فى بالميرا ومارينا تؤرخان بالقرنين الأول والثانى الميلاديين، وهى ذاتها الفترة التى نعرف أن التجارة بين المدينتين كانت تشهد أزهى عصورها.

47- Daszewski, W. A., Op. Cit., PAM III, P. 97.

المنارة للاستشارات
www.

قائمة المراجع العربية

١- احمد فخرى، بين اثار العالم العربى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨.
٢- النبى عدنان، تدمر والتدمريون، دمشق، ١٩٧٨.
٣-عزت قادوس، آثا رالعالم العربى، الحضرى، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
٤- قبيسى، محمد بهجت، الكنعانيون والآراميون العرب فى الإمبراطورية الرومانية (من القرن ١ ق.م. حتى ٣ م.) والأباطرة العرب الذين حكموا روما، الطبعة الثانية، دار أطلاس، ٢٠٠٩.
٥-منى حجاج، الأساطير الأغريقية بين الإبداع والابتداع، الحضرى، الإسكندرية، ٢٠١٥.
٦- سمر يسرى، مدينة "مارينا الأثرية" دراسة لآثار المنطقة ووسائل الحفاظ عليها وترميمها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٨.

قائمة المراجع الأجنبية

1- Adriani, A., Annuaire du Musee Greco - Romain 1435- 1939.
2-Breccia, Ev., La Necropoli di Sciatbi, Le caire, 1912.
3-Borkowska, Y., Studia Palmyrenskie, 1, 1996.
4-Colledge, Malcom, A. R, The Art of Palmyra, Thames & Hudson, London, 1976.
5-Daszewski, W. A., The Site of an Unkown Gerco - Roman Settlement on the Mediterranean Coast of Egypt, in: Marina El Alamein PAM, Warsaw, 1991.
6-Delbert, R. H, A Journey to Palmyra, Collected Essays to Remember, Eleonora cussini, Boston, □□□□.
7-Dazewski, W. A., Marina al- Alamein, 1990, PAM III 1991.
8-Dazewski, W. A., "Excavation at Marina el- Alamein, 1987- 1988, MDAIK (46), 1990.
9-Dazewski, W. A., Les Necropoles d'Alexandrino, in: Lagloire d'Alexandria, Paris, 1998.
10Drijvers, H. J. W., The Religion of Palmyra, Icono - Graghy of Religions, 15, Institute of Religious Iconography, State Univ. Gorning en Leiden, 1976.
11-Fellmann, R., Le Sanctuairede Baal Shamin a Palmyre, Institut Swisse, Fevrier, 1970.
12-Gawlikawski, M., Monuments Funeraires de Pulmre, Warszawa, PWN, □□□□.
13-Gawlikouski, M., Palmyrena, Berytus, 1986.
14-Gawlikowski, Mi, The City of the Dead Boston, 2002.

المنارة للاستشارات
www.

15-Graf, D. F., "Zenobia and Arabs", 143- 167, in: D. H. French - C.S. 4ght foot (edd.) The Eastern Frontier of Roman Empire, Procceeding, of a Colloquium held at An Kara in September, 1988, BAR International Series 553, Monogragh (British Institute of Archaeology at Ankara) no. 11, 2 Vols, Oxford, 1989.
16-Higuchi, T. K., Saito, Study of the Nourth Esst Necropolis in Palmyra, Bulletin of the Research, Center for Silk Roadology, Nara: Nara Univ. 1998.
17-Henning, Die Turmgaber Von Palmyra. Eine locale Bau form als Asdrack Kultureller Identitat, Un Pulished Dissertation, Univ of Koln, 2001.
18-Maura K., Heyn, Gesture and Identity in the Funerory Art of Palmyra, American Journal of Archaeology, Vol. 114, 4 October 2010.
19-Sadurska, A., Nouvelles Recherches dans La necropole oust de Palmyre, 11- 32, in: Palmyre, bilan et Perspectives: Colloque de stras bourg (18-20 October) 1973.
20-Schmidt - Colinetetal., L'architecture Fune'raire dr Palmyre, Ortharn, 1989.
21-Strabo, Geographika, XVII, Loeb.

المنارة للاستشارات
www.

(الملاحق)

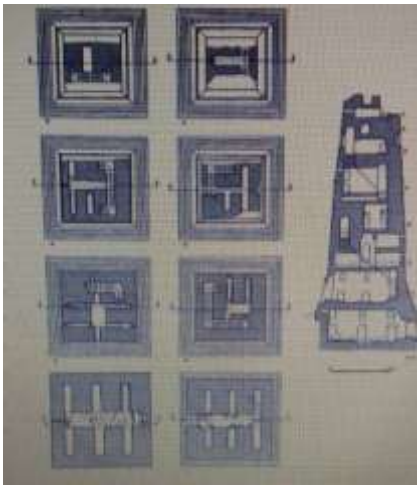

صورة رقم (١)

صورة رقم (٢)

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (٣)

صورة رقم (٤)

المنارة للاستشارات
www.

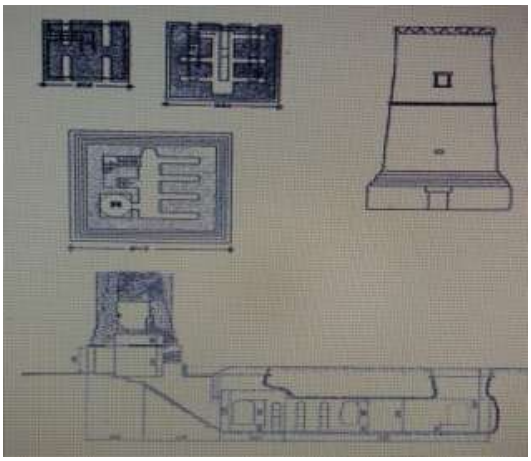

صورة رقم (٥)

صورة رقم (٦)

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (٧)

صورة رقم (٨)

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (٩)

صورة رقم (١٠)

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (١١)

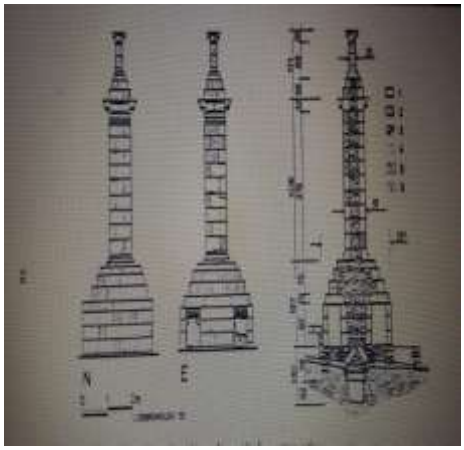

صورة رقم (١٢)

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (١٣)

صورة رقم (١٤)

المنارة للاستشارات
www.

صورة رقم (١٥)

صورة رقم (١٦)

المنارة للاستشارات
www.